نظرات في التواصل والحجاج

أ. د. جمعان عبد الكريم الغامدي

أستاذ بقسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الباحة، السعودية

البريد الإلكتروني: jam3an966@gmail.com

الاستلام	٢٠١٧/٣/٢	المراجعة	٢٠١٧/٤/٥	النشر	٢٠١٧/٤/٣٠

الملخص:

يحاول البحث النظر في قضيتين مرتبطتين ببعضهما بعضا، تقوم القضية الأولى على نظرة مختلفة في أركان العملية التواصلية اللغوية، حيث تتعدل إلى طرفين فقط هما (منتج النص، والنص)، وتصبح كل الأطراف والأوضاع الممكنة الأخرى متضمنة كإستراتجيات من خلالهما فقط.

أما القضية الأخرى فتقوم على اعتبار أن المغالطة تتموضع في العملية التواصلية لمنتج النص، وللنص، فأي نص هو حجاج في عمقه مهما كان نوعه، والمغالطة هي أساس الحجاج لا صورة مشوهة منه، ليصل البحث إلى مفهوم جديد لقلب الحجاج أو المغالطة المشروعة، وتظل المغالطات تتفاعل في عملية ديالكتيكية مع اكتشافها وتحليلها بطريقتين إما بتحليل مغالطي آخر، أو بتحليل علمي.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

Notes in communication and argumentation

Prof. Jaman Abdlkreem AlGhamdi

Professor at Faculty of Art, AlBaha University, KSA.
Email: jom3an966@gmail.com

Received 2/3/2017 Revised 5/4/2017 Published 30/4/2017

Abstract

This Research try to investigates two issues which linked to each other, the first issue depends on a different hypothesis about the parts of communicative process of language, where become in two parts only (text product, and text), so all partners, all parts and other possible conditions modify as strategies through of them.

The other issue is based on the grounds that the fallacy positioned in the process communicative text product, and text. any text is argumentation in it depth whatsoever, fallacy is the basis of argumentation not a distorted form of it, the search reach to a new concept of the inversion of the argumentation or legitimate fallacy, the fallacies interact in a dialectical process with the discovering and analyzed it by two ways, either another analyzed fallacy, or scientific analysis.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

مقدمة:

" وما على الرسول إلا البلاغ المبين " النور 54

" لست عليهم بمسيطر " الغاشية 22

إن اقتحام المسائل الأساسية التي رسخت في الأذهان، وبنيت عليها كثير من النظريات والممارسات والإجراءات لهو أمر شديد الصعوبة، ومظنة للزلل، ومدعاة في كثير من الأحيان إلى إهمال من يقتحمها أو الاستخفاف به ، ويكفي بذلك عقبة كبرى أمام هذه الورقة المركزة حول إعادة النظر في أطراف العملية التواصلية، وحول الحجاج، فكيف إذا اعتمدت – إضافة إلى ذلك - مصدرا عربيا في التأسيس وفي المناقشة، وكيف إذا اقترنت برسول الإسلام إن الصعوبات تتضاعف والعقبات تزداد.

ولولا الرغبة الملحة في استحضار الروح العلمية التي لا تأبه بكل تلك العقبات، وتمضي غير عابئة إلا بالمنهج وبالتحليل العلمي لما نُشرت هذه الورقة.

تنقسم هذه الورقة بعد المقدمة قسمين، الأول : يتعلق بإعادة النظر في العملية التواصلية ليجعلها تتمثل في ركنين هما **منتج النص** ، و**النص** كما يتعلق بإعادة النظر في **أصول الحجاج وبعض مسائله** . أما الآخر فهو بمثابة توسيع وتطبيق للمسألة الحجاجية التي نوقشت في القسم الأول وعنوانه: **المغالطة الحجاجية والمفهوم الجديد للتواصل**.

وقد أتت بعد ذلك خاتمة البحث وفيها وُضعت نتائج البحث وتوصياته.

أرجو أن يكون البحث قد أثار ولو بعض التساؤل من منطلقات العلم لا منطلقات الإيديولوجيا أو الأوهام الأخرى.

وبالله التوفيق

1. إعادة نظر في عملية التواصل والحجاج

" لاوجود لشيء خارج اللغة "

لئن كان الباحثون يبحثون في التأصيل الجينالوجي لأفكارهم عن ما قد يكون منبعاً أو مبعثاً أو سنداً لها من أقوال قدماء اليونان ومشاهير الحضارات المختلفة في الماضي البعيد أو في الماضي القريب أو حتى في الحاضر، فليس بغريب محاولة إجالة النظر في موقف الرسول[1] من العملية الحجاجية، لنصل من خلال فهمنا لذلك الموقف إلى ما يمكن أن نطلق عليه تأسيساً لنظرة مغايرة أو جديدة في الحجاج، ثم نحاول أن نسبكه في نظرة خاصة بالحجاج أو بالعملية التواصلية برمتها؛ إذ الحجاج لاينفك عن التواصل.

ويمكن الاستناد في البداية على الحديث الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسلم " إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إليَّ فلعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بِحُجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه ، فلا يأخذن منه شيئاً فإنما أقطع له قطعة من النار "[2].

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

ونستخلص حجاجياً[3] من هذا الحديث الآتي:

أولاً: أن المدار في الصدق والكذب هو ليس كون ملقي النص أو الحجة اشتهر عنه الصدق أو اشتهر بالكذب، ولكن المدار في ذلك هو قوة الحجة أو ضعف الحجة، وفي هذا تأسيس حجاجي وقانوني وعليه فلابد من الاعتناء بالحجاج من خلال النص؛ إذ التأثير في المتلقي أو الحكم بالغلبة أو الحق يكون من خلال النص فقط بغض النظر عن أي اعتبار خارجي.

ثانياً: أن المقدرة الحجاجية قد تقلب الحق باطلا والباطل حقاً، ولا يسع القاضي إلا الحكم بمقتضى تلك الحجج، حتى إن خالفت ما هو حق ووافقت ما هو باطل[4]، ويظهر من الحديث أن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم يمثل الغاية القصوى من الحيادية؛ فليس هنالك إلا نص وحجة، ولا قيمة لما هو خارج عنهما.

وهنا يمكن بناء على الممارسة النبوية للحجاج ، بالحجة النصية (الفصاحة الجديدة)[5]، ومقدرة المحاجج على التفنن فيها القيام بمحاولة صياغة نظرة مغايرة لعملية التواصل اللغوي وخصوصا في الوضع الحجاجي- مع ملاحظة أن هذه النظرة هي خاصة بالتأمل الباحث وليست استنتاجاً مباشراً أو غير مباشر من الحديث النبوي- وهذه النظرة ترى أن تلك العملية تتشكل من طرفين في تكونها وفي محصِّل نتيجتها مع الأخذ في الاعتبار تجاهل المتلقي في وجوده المتحقق تجاهلاً مؤقتاً يهدف إلى وضعه في داخل النص كمكون من مكونات بناء النص، وكأداة استراتيجية للوصول إلى هدف النص أي أن العملية التواصلية هي (إبلاغ) فقط، وإذا حدث التفاعل التواصلي الحقيقي بوجود متلق يؤدي تشاركاً في عملية الاتصال فهو يؤدي ذلك الدور بوصفه إستراتيجية يساعد النص في تحققها أو في انبعاثها الفعلي للوصول إلى هدف النص ومثل ذلك في السياق فهو ليس إلا استراتجية للتأويل؛ وهذا يمكن من تعدد السياق واختيار السياق المقارب أو أحد السياقات الممكنة، كما أنه يسمح بتعدد المتلقي واختيار المتلقي المقار المقارب أو أحد المتلقين أي أنه ليس لدينا في العملية التواصل اللغوية ، وخصوصاً إذا كانت النصوص حجاجية أو إبداعية[6] إلا طرفان (ملق ونص)، ولكن تلك العملية الاتصالية تتكون من كل الأطراف الممكنة والمحتملة حتى الآلة الوسيطة والمستقبلة في استراتجيتها النصية وفي إستراتجيتها الخطابية[7] ففي بناء النص يأخذ ملقي النص في اعتباره متلقي النص للوصول إلى هدف النص فلأجل ذلك فإن أي عملية تواصل لغوية تتم من خلال خطوتين فقط كالتالي:

ملقي النص (1) ---------- نص (2)

وتنتهي في تحققها أو في نتيجتها الحاصلة بعد عملية الإبلاغ إلى النتيجة نفسها

ملقي النص (1) ---------- نص (2)

[8]ولكنها في الداخل المتضمن تتشكل من خمسة أطراف هي [ملقي النص (1) + النص (2) + متلقي النص(3) + سياق النص(4) + هدف النص (5)] تكون ثلاثة منها (3، 4 ، 5) مضمرة بالقوة حتى إن كانت ظاهرة في الطرف الأول (1) ، كما أنها في الوقت نفسه مضمرة بالقوة حتى إن كانت ظاهرة في الطرف الآخر (2) مضافاً إليها الطرف الأول (1) ، فتصبح أربعة (1، 3، 4 ،5) وبذلك فإن الوجود الحقيقي لمتلقي النص لا قيمة له في العلمية الاتصالية إلا من خلال أثر تحقق هدف النص وهو هدف خارج العملية اللغوية وليس خارج العملية التواصلية.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

ملقي النص (متلقي النص وسياق النص وهدف النص)------ نص (ملقي النص ومتلقي النص وسياق النص وهدف النص)

إن ربط النص بملقيه هو عملية لا يمكن تجاهلها ألبتة ولا تجاهل أثرها في مختلف المستويات بما فيها المستوى اللغوي، والمستوى التواصلي وما يترتب على عملية التواصل، بل أي تحليل لا يمكن أن يهمل ملقي النص، ولكن تحليله كبقية العناصر لا يكون في البداية إلا من خلال النص ذاته، فالنص هو ما يعول عليه مقترنا بأثر ملقيه؛ ولأجل ذلك فإن التواصل واللغة والحجاج يبنى على المعادلة الآتية: ن2 [1، 3، 4 ، 5] فإذا أردنا إجراء أي تحليل بعد أي تلقي فلا بد أن نضيف للمعادلة السابقة مل 1 [3 ، 4 ، 5].

وتكون المقاربة التواصلية مبنية فقط على التواصل هو الإبلاغ الذي تمثله هذه المعادلة

الإبلاغ = ن2 + مل 1 .

ويهدف هذا الإجراء إلى توضيح الفرق بين التداولية المتحققة من الحدث اللغوي التي هي منتج النص والنص ، وإستراتجيات وتأويلات الحدث اللغوي التي هي متلقي النص وسياقه وهدفه.

كما يهدف في الحجاج إلى الوضول إلى درجة الحياد صفر أو إيصال المتلقي إلى درجة الحياد صفر للتمكن من التفريغ المسبق لبناء الحجة.

ثالثا: أن المقدرة الحجاجية تعتمد على عملية اللحن واللحن في حديث الرسول يعنى به الفطنة و" يكون ألحن بحجته أي أفطن لها وأحسن تصرفاً "[9]، وقد عزاها الرسول (للمحتج وللحجة معاً)؛ وبهذا فإن المقدرة الحجاجية لا يستعمل فيها ما هو نصي فقط، بل قد يستعمل فيها كل وسيلة ممكنة من لغة الجسد، والإشارات السيمائية، واللغة التطريزية (النبر، والتنغيم، وشدة الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً)، بالإضافة إلى قوة الحجة النصية. وهذا يؤسس لاعتبار **سياق ملقي الحجاج** في قوة الحجة أو ضعفها، بل أنه قد يكون العامل الأكبر في الوصول إلى الإقناع.

وبناء على كل ما سبق يمكن كفهم حجاجي خاص أثاره التأمل في النظرة النبوية إلى الحجاج أن بناء عدة مفاهيم حجاجية؛ لإثراء الحجاج بمفهومه اللساني الحديث، وأهمها أن السياق الحجاجي مهم جداً في عملية الإقناع، وأنه قد يغير النتيجة الحجاجية بأكملها، ولأجل ذلك فإن العملية الحجاجية تتجلى في مقياس (قوة الإقناع) وأفضل مقياس لقوة الإقناع هو ما يتم من خلال تحليل امتلاك القدرة على (قلب الإقناع) ويكون ذلك في العادة باستصحاب الجانب السيميائي الحجاجي من خلال هذه المعادلة:

النص المحتوى الحجة + سياق ملقي الحجاج (المقدرة غير اللغوية) = قلب الإقناع

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

و تنشأ عن هذه المعادلة معادلة أخرى وهي معادلة مقياس قوة الإقناع كالتالي:

قوة الإقناع = المقدرة على قلب الإقناع + المقدرة على الإقناع

ويدخل في المقدرة على قلب الإقناع[10] كل الوسائل التي تساعد في الفلج على الخصم سواء أكانت لغوية أم كانت سيمائية، وكل ما كانت تلك الوسائل متميزة وإبداعية زادت المقدرة على قلب الإقناع كما أن تلك المقدرة على قلب الإقناع يمكن أن تستعمل في إثبات الحق كما أنها قد تستعمل في إثبات الباطل؛ إذ المقصود بها المقدرة التي يستطيع بها ملقي النص التفنن في حججه نصيا وسياقياً؛ بما يمكنه من قلب الإقناع لا المقصود بها تحقق قلب الإقناع ، وعليه فلا مجال للحكم القيمي الأخلاقي هنا.

أي أن قوة إقناع الحجة تقاس في النهاية بمقدار امتلاك ملقي الحجاج للمقدرة على قلب الإقناع ويمكن أن نشير إلى امتلاك خطيب تميم عمرو بن الأهتم لهذه المقدرة على قلب الإقناع فقد ورد أنه "جلس إلى رسول الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقيس بن عامر ففخر الزبرقان فقال يا رسول الله أنا سيد بني تميم والمطاع فيهم والمجاب فيهم أمنعهم من الظلم وآخذ منهم بحقوقهم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الأهتم، فقال عمرو: إنه لشديد العارضة مانع بجانبه ، مطاع في أدنية فقال الزبرقان والله يا رسول الله لقد علم مني غير ما قال وما منعه أن يتكلم إلا الحسد فقال عمرو أنا أحسد له ! والله يا رسول إنه لئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مضيع في العشيرة والله يا رسول الله لقد صدقت في الأولى وما كذبت في الثانية الآخرة ولكني رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت وإذا غضبت فلت أقبح ما وجدت فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: " إن من البيان لسحراً "[11].

ويمكن القول أيضاً إن ثمة وسائل عدة لقلب الإقناع، ومنها على سبيل المثال مسرحة ملقى الحجة لحجته إذ قد تؤدي – في الغالب - إلى قلب الحقائق ، ومن هنا فإن الجانب السيميائي مهم في أي عملية حجاجية؛ لأنه يساعد في تحقق وظيفة إقناعية مهمة هي (قلب الإقناع). إما الإقناع الحاصل من النص وحده فهو الإقناع النصي ويتم فيه قلب الإقناع من خلال إجادة عرض الحجة بأي وسيلة نصية ممكنة منطقية أو جمالية أو غير ذلك. وخلاصة ما سبق أنه يمكن تقسيم الإقناع إلى إقناعين: إقناع نصي، وإقناع سيميائي، كما يستخلص أن حالة (قلب الإقناع) هي حالة يمكن أن تحدث في العملية الحجاجية وأنه لا يمكن تحليلها تحليلاً مكتملاً إلا من خلال استحضار السياق الحجاجي وخصوصا السياق ذا العلاقة بملقي الحجة ويتم ذلك عن طريق تحليل المقدرة اللغوية وغير اللغوية لملقي النص الحجاجي[12].

2. المغالطة الحجاجية والمفهوم الجديد للتواصل

"الحجاج مناورة لغوية"

يتضح من خلال ما سبق أنه في الإمكان القول: إن قوة قلب الإقناع هي ليس إلا المقدرة على استعمال المغالطة المشروعة في الوصول إلى هدف النص، والسؤال الذي ينشأ هل ثمة مغالطة مشروعة، والجواب أن نعم كل المغالطات مشروعة ؛ فهي جزء من الحجاج، فالحجاج بأكمله ليس إلا تأريخاً من المغالطات، و مدار الحكم على أثر المغالطة هو

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

حكم خارج اللغة وخارج عملية التواصل ذاتها؛ ولذا فالحكم الأخلاقي والقيمي على المغالطة هو غير المغالطة، ولو تم تتبع كثير من الحجج التي اشتهرت في التأريخ التي أدى كثير منها حتى إلى تأسيس دول وحضارات وإسقاط دول وحضارات أخرى لوجدنا أنها قائمة على مغالطات كبرى تتضمن حشداً هائلا من الحجاج المغالطي وغير المغالطي لإثبات تلك المغالطة الكبرى، وهذا لا يعني الخلط بين المغالطة الكبرى وبين أثرها القيمي أو بينها وبين ما ينجز عليها فتلك قضايا مستقلة عن بعضها، بعبارة أخرى المغالطات هي جزء من الحجاج أو هي أصل الحجاج في الحقيقة لا صورة مشوهة منه، بل إن المقدرة على المغالطة هي مقدرة خاصة وهي أهم من الحجاج النموذجي، ولتلك المغالطات التي تعتمد قلب الحجاج أمثلة متعددة من أهمها **مغالطة الانتقال السياقي**، وهي المغالطة التي تعتمد على التلاعب بالسياقات أي الانتقال من سياق إلى سياق بحيث يكون الإثبات الذي تم في السياق المنتقل إليه إثبات طبيعياً، ولكنه في السياق المنتقل منه أمر لا يقبل إثباته، وبذلك تكون القضية منفية في عدة أوجه ومثبتة في عدة أوجه آخر أو لامنفية ولا مثبتة أو خاضعة لأي احتمال سياقي او لأي إستراتجية ممكنة دون أن توصف بالصدق أو الكذب[13] ولكنها تختلف عن الخداع المغالطي إن القلب الحجاجي يعتمد على الإثبات الصحيح دون الخداع أو الخلابة اللفظية التي تعتمد على التلاعب بالألفاظ للتعمية[14] أي أنه تلاعب سياقي مشروع.

ولكن الخلط بين السياقات هي العملية التي تحدث نوعاً من الإثارة ومدى مشروعيتها عادة يكون مرتبطا بالهدف منها أولا وبعامل الإتقان والروعة والإثارة الناتجة عن زحزحة السياقات.

من المأثورات الشعبية أن عنترة بن شداد قابل الأبطال فهزمهم من الجاهلية إلى الصليبين إلى الآن فهو شخصية أسطورية، ولكنه عندما جابها ثورا في الميدان فر لا يلوي على شيء وحينما سخر منه الناس أجابهم بقوله: " وما الذي يدري الثور أني عنترة ؟!".

السياق الأول للحجة عنترة إنسان بطل] يهزم كل من واجهه

السياق الثاني للحجة عنترة إنسان جبان] هزمه ثور

السياق الثالث للحجة عنترة إنسان بطل] يهزم الأبطال من الناس الذين يعرفون بطولته

السياق الرابع للحجة عنترة إنسان بطل لكنه لايعرف أسلوب مواجهة الثيران] هزمه ثور

السياق الخامس للحجة عنترة إنسان بطل وهو يستعمل رسالة صيت بطولته في بث الرعب في قلوب خصومه] لم يفهم الثور فانتصر الثور.

إن سياقات الحجاج هي التي تعطيك كل السياقات الممكنة التي تتوافر لمزحزح السياق الحجاجي وإدراكه لمجمل هذه السياقات ولكيفية صياغة الحجة هو الذي يؤدي إلى القلب الحجاجي.

أما الكذب المغالطي فهو يقدم حجاجا ضعيفا سرعان ما يكشف وهو يعتمد على الإيهام في الانتقال بين السياقات أو اختلاق السياقات وللأسف إنه مع سرعة انكشافه هو في الغالب ما تبنى عليه كثير من الأوضاع والأنساق في حياة الناس ويستخدم عمدا لإضفاء المشروعية على خطابات السلطة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

و يمكن التمثيل على الكذب المغالطي بما يلي:

(لم يغب هذا الطالب يوما قط لذا فهو يستحق أن يكون من أوائل الطلاب)

لم يغب الطالب يوما ما ⟵ هو من أوائل الطلاب

السياق الصحيح لهذه الحجة هي الانتظام في الحضور والغياب ولذا الحجة في هذا السياق تصبح

لم يغب الطالب مطلقا ⟵ هو من أوائل الطلاب في المواظبة

فقد تم الانتقال من سياق الانتظام في الحضور إلى سياق أوائل الطلاب)؛ لأن العادة أن يحافظ أوائل الطلاب على الحضور المنتظم ؛ وهذا الانتقال هو تلاعب بالسياقات أو نقل القضية بين سياقين لا علاقة لهما بعضهما بالبعض الآخر، وربما كان السياقان نصين يعتمدان على المفارقة بين المستويات اللغوية أيضا وهنا فإن التلاعب في المفاهيم بين أصل سياقها اللغوي أي قبل أن تتحول إلى مفهوم أو بين وجودها في أكثر من سياق مفهومي قد يؤدي إلى مغالطات الانتقال السياقي و في المستطاع القول إنها من أهم مغالطة يستعملها الإنسان بقصد أو بغير قصد للوصل إلى نتيجة الحجاج، وقد تؤدي هذه المغالطة إلى بناء أنساق معرفية وأنساق حضارية قد لا تكتشف إلا بعد فترة طويلة.

إن زحزحة السياق أو تحريكه إلى سياق آخر أو زحزحة المفاهيم[15] بين السياقات هي أهم الوسائل التي يستعملها في " قلب الإقناع " الذي يمثل مقياساً للإقناع في الحجاج العربي المعتمد على وضع القضية في أكثر من سياق وعلى اعتبار السياقات من دون الاعتماد على التحايل اللغوي لإثبات الشيء ونقيضه أو الكذب المغالطي.

إن نجاح المغالطة السياقية بشقيها قلب الحجاج والكذب المغالطي قد يؤدي أحياناً إلى بناء إيديولجيات وبناء معتقدات وبناء تراكم من المذاهب ومن الحياة، واكتشاف هذا الانتقال المغالطي السياقي والوصول إلى المغالطة الأم هي من أهم الوسائل لتحليل المغالطة والرد عليها، ينقسم قسمين

1) كشف حركة الانتقال المغالطي بين السياقات (التحليل العلمي).
2) استعمال مغالطة أخرى للانتقال إلى سياق مغالطي آخر (التحليل الإيديولوجي).

إن تأريخ الإنسان يثبت أنه كائن مغالطي وليس كائنا حجاجيا، وبمقدار ما يتخلص من مغالطته يكون انتقاله إلى القيم وإلى الحضارة.

ولعل المصادرة على المطلوب من أكثر المغالطات التي تحدث دون وعي الناس، وهي مغالطة باعتبار تحقق السياق المغالطي، وبعضهم يطلق عليها مغالطة تداولية " pragmatic fallacy " التي تعد مغالطة في ضوء اختلاف سياق التلقي، المبني على المبادئ الأساسية المشتركة للمتحاورين، فإذا اتفقا في المبادئ الأساسية خرجت الحجة عن كونها مصاردة على المطلوب، وإن لم يتفقا أصبحت الحجة حجة مغالطية من نوع المصادرة على المطلوب، ف ق إذا كان صحيحة عند س وص يمكن أن ينتج منها حجاج مقبول عند كليهما لكن إذا كانت ق صحيحة عند س، وغير صحيحة عند ص فسوف ينتج عن استعمالها مغالطة المصادرة على المطلوب والمصادرة على المطلوب جزء من الاستدلال الدائري الذي لم تسلم حتى أهم صور الاستدلال الاستنباطي:

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

كل إنسان فان

أقلاطون إنسان

إذن أفلاطون فان

فالمقدمة الكبرى كما يصرح بذلك جون ستيورات مل تتفرض صحة النتيجة مسبقاً فنحن لا يمكن أن نكون موقنين بها ما لم نكن موفينين بصدق النتيجة " أفلاطون فان " فإذا كنا نشك في أن أفلاطون فان فإن سنشك بالقدر نفسه في أن الناس كلهم فانون.[16]

إن السياق التداولي pragmatic context هو المعيار الذي يحتكم إليه في اعتبار الاستدلال السابق مغالطة أم لا فإذ اعتبرنا أن ثمة بينة بيولوجية أخرى مستقلة عن النتيجة أي أن المقدمة وجدت في سياق آخر تثبت به فتنتفي المغالطة ومثل ذلك يسمى البينة الخلفية background evidence ولكنه يرجعنا إلى إلى مشكلة ما الذي يمكنه أن يعد أو لا يعد مقدمة لحجة معينة [17].

وبنفس القدر يمكن النظر إلى المفارقات الشهيرة التي وقع فيها المغالطيون فهي ليست إلا زحزحة سياقات لا درجات لغوية فحسب كما يذهب إلى ذلك محللو تلك المفارقات.

إن إرادة القصد المغالطي، واضحة في مثل تلك المفارقات وهي من قبيل استعمال اللغة كحيلة.

بقي في النهاية العودة لتأكيد الفرق بين قلب الحجاج وبين المغالطة لأهمية ذلك لنظرتنا في الحجاج وفي قياس قوته البلاغية ونتيجته، فقلب الحجاج يعتمد أولاً على زحزحة السياقات ثم على الإستراتجيات التداولية والبلاغية المختلفة للإقناع في حين أن المغالطة المعروفة قد تستعمل زحزحة السياق كما قد تستعمل غير ذلك من الأساليب المغالطية " الكذب المغالطي ".

ويمكن من وجه آخر اعتبار قلب الحجاج مغالطة إذا نظرنا إلى النتيجة وهي إثبات الشئ وما يضاده أو ينقاضه فهو مغالطة واضحة، ولكن إذا كان يلحظ اختلاف السياقات ونسبية الحقائق فهو مغالطة أيضا ولكنها مغالطة مشروعة " قلب حجاجي"، ومن هنا فإن الانتقال بين السياقات واستعمال إستراتجيات للإقناع بذلك لا ينقل الحجة إلى أن تصبح مغالطة ولا ينقل المغالطة لتصبح حجة، لأن المغالطة المشروعة تختلف عن الحجة الفاسدة.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

خاتمة

ناقش البحث قضية إعادة النظر في أطراف العملية التواصلية ذاهباإلى أنهما طرفان فقط يمثلان الحدث التداولي المتحقق معا، وهما منتج النص، والنص، أما بقية الأطراف الأخرى فليست إلا استراتجيات تستعمل للوصول إلى الهدف من النص أو جماليته.

قد تكون هذه النتيجة هي نتيجة شكلية عند البعض، أو أنها تواضعية تتعلق بالباحث وحده، ويمكن لتواضعات أخرى أن تذهب إلى وجهات أخرى. ومع أنني أعرف كل ذلك إلا أن الجرأة في طرح هذه النظرة لا يقصد بها المماحكة الخالية من المعنى أو إثبات الإضافة لمجرد الإضافة، ولكنها تروم أن تفتح مجال اللغة ومجال التأويل ومجال الحجاج بأكثر مما قد فتح به سابقاً، ولا ريب أن ثمة فرقا بين أن أرى المتلقي طرفا في العملية التواصلية أو أن أراه إستراتجية تظهر في النص، وثمة فرقاً أيضا بين أن يكون السياق أداة مساعدة لتحليل النص خارجة عن النص وبين أن يكون إستراتجية للنص. إن تجاهل المتلقي في ذاته هو تحقيق أو تغيير لتلك الذات ولكن كما يريدها النص، وفي النهاية لدينا تعدد لامتناه من المتلقين وتعدد لامتناه من السياق، وتعدد لا متناه من حاملات النص ووسائطه وتعدد لامتناه من أنواع النص، وتعدد لامتناه من التأويل الذي يسمح به السياق حتى إن ضن به اللفظ أو يسمح به التعدد وإن ضن به التوحد.

وقد انتقل البحث إلى تثبيت بعض الملحوظات حول الحجاج التي استنتجت من الممارسة الحجاجية في العهد النبوي، وكان اختيار ذلك العهد لما أحدثه الرسول صلى الله عليه وسلم من نقلة خطابية وحجاجية كبرى، ولأن التأسيس على تلك النقلة أو إعادة درسها من الأهمية بمكان لتحليل المبادئ الحجاجية التي قامت عليها اللغة العربية عموماً، وقام عليها القرآن، والحديث.

والبحث برمته ليس إلا ورقة كالأوراق الملونة التي تعلق لتذكير الباحث الجاد بجدوله وبمهمته، أرجو أن أكون قدمت فيه ما يفيد أو ما يشير إلى فائدة، وإن كان من توصية تُقدم فهي الحض على العودة إلى الأصول لدرسها مرة أخرى، ولكن بوسائل العلم الحديثة بشرط مهم جدا - لن تفيد كل المناهج الحديثة ولا الإيهام بجدتها وجديتها إن لم يتحقق هذا الشرط - وهو ألا توضع النتيجة قبل البحث فتعاد كل الغثاءات والمتاهات السابقة التي تغرق فيها الحركة التراكمية العلمية العربية في العلوم الإنسانية إلا ما ندر.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

الهوامش:

[1] يستند البحث إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أحدث قطيعة إبستيمولوجية وقطيعة حجاجية وقطعية خطابية مع الخطاب السائد قبل الإسلام وعلى ذلك تم الاعتماد على تحليل هذه القطائع في هذا البحث، وقد حاول الباحث مقاربة فصاحة الرسول وبعض ما أحدثه من قطائع، وهذا البحث قد يعد استمرار للاهتمام بهذه القضية في أبحاث سابقة، انظر:

- جمعان بن عبدالكريم: الحجاج في الخطبة النبوية، مجلة جامعة أم القرى، ع العاشر، رجب 1434 هـ/مايو 2013، ص ص 273 – 352.
- جمعان بن عبدالكريم: فصاحة التخطيب، بحث مخطوط مقدم للنشر في مجلة فكر المغربية.

[2] مالك بن أنس: الموطأ، تحقيق خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م، ج2، ص243. وانظر في سبب هذا الحديث ما أورده ابن حمزة الحسيني نقلاءعن البخاري في كتاب الأحكام (أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال إنما).

- ابن حمزة الحسيني: البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، تحقيق: سيف الدين الكاتب، بيروت، دار الكتاب العربي، 1401هـ/1981م، ج1، ص 264.

[3] هذه الكلمة منصوبة على أنها مفعول لأجله.

[44] يظل ربط المتلقي بكونه على صواب دائما حتى إن أخطأ ما دام أنه منغمس في فعل تأويلي يستعمل فيه الأدوات الصحيحة للتأويل وللفهم خصيصة مهمة من خصائص التأصيل لمبدأ عملية الاجتهاد في الحضارة الإسلامية التي تعتمد على التأصيل النبوي الذي يجعل للمجتهد المصيب أجرين وللمجتهد المخطئ أجراً واحدا.

[5] انظر بالتفصيل حول هذه الفصاحة الجديدة والحجة النصية

- جمعان بن عبدالكريم : فصاحة التخطيب ، بحث مقدم للنشر في مجلة فكر المغربية .

[6] حتى في الحوار العادي وفي الاستعمال اللغوي اليومي لا يوجد في الحقيقة إلا ملق ونص ...

[7] للتفصيل في الإستراتجية النصية والخطابية ، انظر :

- جمعان بن عبدالكريم : إشكالات النص ، بيروت- الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، 1409هـ ، ص ص 177-214 .

[9] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي : لسان العرب ، مرجع سابق ، (لحن) ، ج13 ، ص 382 .

[10] نلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد استعمل قلب الإقناع في حديثه مع الأنصار . وقلب الإقناع المستعمل في هذه الخطبة يدل على القدرة الكبيرة للرسول صلى الله عليه وسلم على فهم التفكير الذي كان يفكر فيه الأنصار وعلى الاحتجاج له احتجاجاً تاماً ثم القيام بإقناعهم بحجته في عدم إعطائهم من أموال الغنائم وأن تكون النتيجة هي اقتناعهم اقتناعاً تاماً .

[11] الحديث مروي في البخاري ومروي سببه في دلائل البيهقي ، وانظر :

ابن حمزة الحسيني : البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 246 .

[12] يمكن أن يشار في هذا الصدد إلى القوة الإقناعية في خطب الحجاج بن يوسف الثقفي ، حيث يذكر مالك بن دينار أنه بكى من وعظه ... وقال عنه الحس البصري أنه يرقى عتبات المنبر فيتكلم كلام الأنبياء وينزل فبفتك فتك الجبارين ، ولم يحاول الدكتور عبدالرحمن الرحموني دراسة أو تحليل هذا الأمر حجاجياً وإنما اكتفى بالتعليق على ذلك قائلاً :" إن قول الحجاج المخالف لفعله صفة كثيرا ما لازمت الجبابرة الظالمين " ، انظر :

- عبدالرحيم الرحموني : الخطابة العربية الإسلامية ، دراسة في المتن والفن ، مرجع سابق ، ص ص 32-33 .

[13] خاصيتا الصدق والكذب من المسائل المعضلة في المنطق وقد حاول البعض حل ما يثيره الخطاب الصوري والمنطقي عن طريق التخلي عن المنطق ذي القيمتين لصالح منطق ثلاثي القيمة حتى يتمكن من استيعاب كل العبارات حتى تلك التي تغيب فيها الإحالة ومن ضمنها المفارقات ، وثمة حلول قامت على مفهوم التراتبية في نظرية الأنماط الذي جاء به راسل لتحديد نمط القضية ونمط القيمة الصدقية التي تهدف إلى استبعاد الدور ومن ثم استبعاد المغالطة ، ومن الحلول ما أتى به ستروسن في نظرية الثغرة أو النظرية الاقتضائية ، حيث ميز المنطوق عن المقتضى مما جعله يوجد شروطاً جديدة للصدق ومن الحلول ما ذهب إليه كريبكه من عدم تمام محمول الصدق الذي بناه على نقد تراتبية تارسكي ... للتوسع في مبحث الصدق انظر :

- حسان الباهي : اللغة والمنطق بحث في المفارقات ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000 ، ص ص 179-213 .

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548

وطرح قضية الصدق والكذب يتعلق تعلقا كبيرا بقلب الحجاج ، وفي هذه القضية يمكن أن نصف من يقلب الحجاج بالصدق والكذب في الوقت نفسه وهذا ليس محالا ، بيد أن المسألة ذات بعد يتعلق بالتأثير على المتلقي لتحويله عن الصدق أو تحويله عن الكذب بغض النظر عن الواقع أي أن الصدق يبقى كما هو والكذب يبقى كما هو وتوجد حالة أخرى هي الصدق أو الكذب الذي نتج عن الإقناع وقد يتحول فيما بعد إلى صدق واقعي أو كذب واقعي .

[14] ولأجل ذلك فإن السوفسطائي يعتمد كثيرا على التلاعب بالأسماء المشتركة كما أكد ذلك أرسطو ... انظر :

- أرسطو : الخطابة ، ترجمة عبدالقادر قينيي ، أفريقيا الشرق ، 2008 ، ص 184 .

[15] إن المفاهيم على وضوحها وخصوصا المفاهيم التواضعية تفلت من حكم الحقيقة ومن احتمال الاعتراض ومن ثم يكون الحجاج المبني عليها عرضة للوصول إلى أبواب موصدة أي أنها في النهاية قد لا تكفي في تأسيس الحجة .. انظر:

- روبير مارتان : في سبيل منطق للمعنى ، ترجمة الطيب البكوش وصالح الماجري ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، 2006 ، ص 82 .

[16] انظر : عادل مصطفى : المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري) ، المجلس الأعلى الثقافة ،2007 ، ص ص 36 -37 .

[17] انظر:

- Waiton Douglas N., In " Informal Logic: The First International Symposium , ed J. Anthony Blair and Ralph H. Johanson, Invemess, Califomia, Edgepress, 1980. 41-54

نقلا عن :

- عادل مصطفى : المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري) ، المجلس الأعلى الثقافة ،2007 ، ص ص 37 - 38

ومن مغالطات الدور الشهيرة الدور الديكارتي الذي بدأ بافتراض الشك في كل شيء حتى عثر على يقين الفكر انا أفكر إذن أنا موجود فأصل وجود الذات بالفكر ثم التمس للفكر سندا في الوجود الواقع فأثبت وجود الله بالفكر ذاته ليكون ضامنا لمعرفته المتميزة عن العالم، ويتضح الدور المنطقي من حيث إنه يجب للبرهنة على وجود الله الاعتماد على العقل والأفكار الواضحة كوسائل لا تخدع، ومن جهة أخرى لأجل التحقق من العقل والأفكار الواضحة لا تخدع يجب العلم أور بوجود الله وصدقه.

@ 2017 NSP
Natural Sciences Publishing Cor.
ISSN: 2536-9548